2005/12/10-0008-PC

أهالي المخطوفين: نبش كل المقابر وتغليب العدالة على السياسة

«لنحمل بدءاً بأرفعنا شأناً معاول ونخرج عظامهم بتأن ونبكيهم أخيراً»

ما إن بدأ أهالي المفقودين والمخطوفين الموجودين في قاعة نقابة الصحافة تلبية لدعوة «لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين»، يصرخون عالياً بأسماء من يتهمونهم بقتل أولادهم وإخفاء جثثهم في مقابر جماعية برية وبحرية، إضافة الى أولئك الذين قاموا بنفي مخطوفيهم عبر تسليمهم الى بلدان اخرى، حتى تحولت الانظار الى القاعة وبالتحديد الى وسائل الاعلام المتلفزة المملوكة من الاطراف التي خاضت الحرب باسم هذه الميليشيا أو تلك التي عبرت الى السلطة والشأن العام اليوم عبر قوانين العفو العام الشاملة والأستثنائية.

أما بالنسبة لوسائل إعلام الدولة، فقد عكست توازن القوى الموجود على الارض، فجاءت مثلا تغطية «الوكالة الوطنية للإعلام» خالية من أي من التسميات التي طالت وجوهاً قديمة متجددة في حياة اللبنانيين السياسية، منها المنتخب ومنها المطلوب طائفياً. كان الأمر ساخراً ومراً، من نوع تلك السخرية التي تجعلك تهز برأسك يمنة ويسرة وكأنك تقول «عبث»، حتى ان ممثل نقابة الصحافة الذي كان موجوداً، والذي أظهر «تضامناً» عاماً غير مكلف، رفع صوته محتجاً بأنه «ممنوع الطعن بشخصيات عامة من على منبر نقابة الصحافة» ما تسبب باحتجاج المنتدين في وجهه وحتى من قبل بعض الشخصيات النقابية والسياسية الحاضرة في الصفوف الأولى على قلتها.

لم تشهد قاعة نقابة الصحافة، امس، حضوراً سياسياً كثيفاً تضامناً مع الأهالي. فقط كان هناك الصحافيون وأهالي «الفقيد»، إضافة الى ممثل النائب ميشال عون المحامي ايلي بيطار، وفؤاد عبد الساتر عن رابطة أساتذة التعليم الثانوي، ومنسق قطاع التربية في تيار «المستقبل» عصام عزام، والدكتور حسن منيمنة والنقابي محمد قاسم وغازي عاد عن «لجنة أهالي المفقودين في السجون السورية». هذا الحضور بدا «طبيعياً» بالنسبة لسياق الوضع السياسي في البلاد. فالقضية ليست «فوتوجونيك» والهرب من المسؤوليات الفاضحة لجرائم الحرب والتي أمل مرتكبوها الذين لم يطلبوا الصفح العام قبل استيلائهم على العفو العام بقوة الذراع السياسية و...القتالية، ان ننساها، لم تنس أبداً.

وبعيداً عن ألعاب المجاز اللغوية، يبدو أن دم الضحايا الذي طمر «وخبأوه تحت شوية تراب» كما قال النائب غسان مخيبر، خرج وأخذ يصرخ فعلياً بصوت الأهالي مطالباً بالعدالة. «زال التراب وبان الوسخ» كما قال مخيبر، سائلاً أهالي الضحايا الذين كان قد اختلط سبابهم للشخصيات العامة ببكائهم، «أن نجلس سوية لنير كيف سنحل الأمر»، قاصداً موضوع المقابر الجماعية ومعرفة مصير المخطوفين والمفقودين، معلناً عن الدعوة الى اجتماع للجنة حقوق الإنسان النيابية الثلاثاء المقبل لبحث هذا الموضوع بالذات.

بدأ المؤتمر بالنشيد الوطني ثم كلمة لممثل نقابة الصحافة فؤاد الحركة الذي أعلن تضامنه مع لجنة أهالي المفقودين «لأنهم أصحاب حق ولان قضيتهم عادلة وشريفة». وأعلن استنكاره الشديد لعدم التوصل الى حل هذه القضية الانسانية.

حلواني تتحدث في حضور الاهالي (حسن عبد الله)

ثم تحدثت وداد حلواني باسم «لجنة الاهالي» داعية «الى الوقوف دقيقة صمت احتراماً لأرواح أهلنا ممن ترقد رفاتهم في المقابر الجماعية التي نبشت أخيراً في وزارة الدفاع وفي منطقة عنجر، ولأرواح جميع الضحايا الذين ألقيت جثثهم جماعياً تحت الارض أو في أحشاء البحر، إخفاء لما اقترفته معاول الحرب».

وقالت حلواني «نحن اليوم أحوج ما نكون الى أن نتضامن ونشد على أيدي بعضنا متمنين أن يكون أبناؤنا أحياء في مكان ما. نصلي ونكاد أحيانا نتحدى القدر. نطالب بالتحقيق في اسرائيل وفي سوريا، نطالب بأن تسلم أرشيفات كل الميليشيات. إن ما يجري منذ عقود هو عملية إخفاء قسري لأناس، وقد آن الاوان ومن حقنا أن نعرف أين هم. نتمنى أن يكون أحباؤنا أحياء، ونناضل. لكن الحقيقة المرة هي ايضا أن بعض الذين نبحث عنهم يرقدون هناك. كلهم أبناء لنا. إن العظام التي انتشلت تشهد على بلاغة مأساة قضيتنا. نعم، اقتضى الامر ١٥ سنة بعد وقف الحرب، لتنبش أولى المقابر الجماعية وليظهر الوجه المأسوي لوجعنا، ليظهر هذا الوجه أمام مواطنينا وأمام قلوبهم، فيتعاطفوا مع الضحية لا مع القاتل. وليبدأ العد العكسي في مواجهة كل الذين أخفوا أو طمسوا هذه المآسي».

«هل تريدون إشعال حرب أهلية لأجل موتى»؟

وأضافت حلواني «اقتضى الامر ١٥ عاما لتظهر أولى خيوط الحقيقة، فالمقابر الجماعية ليست اكتشافاً كما يقول البعض، الجديد هو نبشها علناً. فللحقيقة أذكركم: انه عام ٢٠٠٠، أصدرت «اللجنة الرسمية للاستقصاء عن جميع المخطوفين والمفقودين وتحديد مصيرهم» بياناً من صفحتين، ذكرت فيه أكثر من مقبرة جماعية، وذكرت أيضا البحر وراعت في ذلك التوازن الطائفي بين هويات المجرمين، وهويات الضحايا. كشف التقرير مقابر جماعية (ليس كلها)، لكن الدولة ارتأت عدم نبشها، بل تذرعت بهذه المقابر لتدعونا الى الصمت والتخلي». ثم قالت «قيل لنا ان المفقودين ماتوا بدليل وجود المقابر الجماعية، فهل تريدون إشعال حرب أهلية لأجل موتى؟ المقابر الجماعية وكثرة العظام المدفونة فيها تثبت أن جميعهم ماتوا(!!) اليوم نبشت المقابر الجماعية الاولى في لبنان، ونبشها سمح للناس للمرة الاولى بأن يتبينوا بعيونهم وقلوبهم حجم المأساة التي ترشح من قضية المفقودين. للمرة الاولى باتت مأساة الضحية في عيون الناس وقلوبهم أكبر بكثير من الخطابات السياسية والهالات البراقة التي يحيط بها أرباب الحرب والسياسة أنفسهم، لعل الناس ينسون ما ارتكبوا. نحن اليوم أحوج ما نكون الى التضامن في ما بيننا ومع الناس، اولا لأنها لحظة حداد عميقة، لحظة حداد عميقة جداً. وثانيا لأنها لحظة أمل ببدء إيلاء هذه القضية ما تستحق من أولوية لدى المواطنين ولدى الدولة، وثالثا لأنها لحظة الحقيقة التي ننتظرها منذ عقود والتي يتوجس منها الفاعلون ايضا منذ عقود».

وتابعت «تسمعون اليوم خطابات تحاول تسييس المقابر الجماعية، توحي بأن نبش المقابر الجماعية كان بقرار سياسي كشفاً لجرائم فئة معينة دون اخرى، وكأن هناك تمييزاً بين مقبرة ومقبرة وبين مجرم ومجرم وفقاً لهوية الفاعل. تستخدم عظام أحبائنا لمآرب سياسية. هذا الخطاب مرفوض جملة وتفصيلاً. وتضامننا خير سلاح ضده. فالمقبرة الجماعية هي مقبرة جماعية، موضوعها مأساة الضحية بمعزل عن هوية الفاعل. والمخفي قسراً هو مخفي قسراً، موضوع مأساته وجع الأم التي ما زالت تنتظر ووجع الولد الذي لا يعرف والده إلا بالصورة منذ طفولته».

وأضافت «انها ساعة الحقيقة التي تطغى فيها المأساة برهبتها على أهازيج السياسة. لعل العدالة تتغلب ولو لمرة على السياسة. نريدها ساعة شجاعة تتبنى فيها الحكومة مطالبنا كأولوية لبناء دولة الغد على أساس المساواة والعدالة وتطالب بجلاء حقيقة الإخفاء القسري في إسرائيل وسوريا كما تطالب كل الميليشيات بتقديم أرشيفاتها بشأن المفقودين». وختمت «نريدها لحظة حقيقة لتكريم أحبائنا ممن دفنوا في مقابر جماعية أو ألقوا في البحر، لحظة نحمل فيها كلنا، بدءاً بأعلانا شأناً، معاول لنخرج عظامهم بتأن، لنكشف هويتهم وفقاً للمعايير الدولية، ونبكيهم أخيراً مع أمهاتهم وآبائهم وأزواجهم وأبنائهم، تكريماً لهم أولاً وللأحياء تالياً».

وما إن انتهت حلواني حتى ساد هرج ومرج في القاعة التي كان فيها كثيرون جدد من أهالي المفقودين الذين لم يكونوا قد سجلوا مخطوفيهم قبل اليوم لأسباب شتى. وأخذت نساء يصرخن باسم قائد القوات اللبنانية سمير جعجع واختلط صراخهن بإشهار صور مفقوديهن، فاستدارت الكاميرات التي ولم يعد باستطاعة أحد إسكاتهن ثم انسحبت بعض وسائل الإعلام. و«اقتحم» جهاد خليل الكلام فكان لا بد من إعطائه له. جلس الى المنصة وأخبرنا أنه «مولود لبناني ببرج حمود راح خيي عام ١٩٧٥ هناك ووالدي مذبوح نصف ذبحة. يعني بلشوا يذبحوه لولا ـ الله يطول عمرو ـ جوزيف شمالي الذي أنقذه»، قال وهو مرتبك تتدافع الكلمات الى فمه «نحن اليوم في غابة. نطلب من كل النواب ومن كل حزب كلمة الحق ولو ان كلمة الحق ثقيلة: فقالوا لنا: شكر الله سعيكم؟ قلنا لهم عظم الله أجركم. وإلا فلدينا معلومات تفضح كل هؤلاء المجرمين». ثم يصرخ فجأة «بدنا نفتح جرحنا الصمت.. خلص.. بدنا نعتصم امام مجلس النواب».

ومع أن الكلام كان قد أعطي إلى سيدة استولى على المنبر شاب قال ان اسمه يوسف الدقدوقي وهو شقيق الدركي المخطوف توفيق قال «وليد جنبلاط موجود ونبيه بري موجود وكريم بقرادوني موجود وجعجع موجود ..لكن يتكلمون عن مجازر الشوف الأعلى واللقلوق والمسلخ والتحويطة وفرن الشباك..». هنا احتد ممثل نقابة الصحافة، فأشار اليه أكثر الموجودين أن يصمت، وأشاروا للاهالي بالمتابعة في حين كانت وسائل إعلامية أخرى تطوي ميكروفوناتها، ولم يتبق إلا مصور «تي في». ثم اعتلت ام محمد الهدباوي المنصة راوية كيف خرجت من منطقة النبعة بعد أمرها المسلحون أن «اللبنانيين يطلعوا» لكن اللبنانيين لحقوا بها وأخذوا ابنها (ستة عشر عاما). ثم تضيف «الله يسعدو موريس الجميل، سقطت النبعة الثلاثاء وذهب معها الأربعاء الى جعجع الذي كان جالساً على مكتب عال وكان ابني بالملجأ تحته. أنا كنت عارفة وموريس الجميل كان عارف. تحدت اليه الجميل... لكن جعجع طردني (تصرخ هوي اللي هلق عم يطالب... منو لألله. الله يحرق قلبو...لا أولاد له حتى ادعي عليه، الله يحرق قلبه على أهله».

وسألت «السفير» السيدة حلواني لمن تتحدى لجان المفقودين الثلاث، خصوصاً رئيس «سوليد» غازي عاد كان موجوداً ومتضامناً. قالت حلواني انها لا تستطيع أن تقرر وحدها وانها ستطرح الموضوع عليهم مشيرة الى معاناة أهالي المفقودين في سوريا وكيف كانت الدولة تقمع تحركاتهم، ثم طلب غازي عاد الكلام فقال، انه «للأسف عندما كنا نعمل مؤتمرات مشتركة لم يكن الإعلام يسلط الضوء على وجودنا مع بعضنا. ان الضحية هي دائما واحدة والمجرم دائما واحد. ولا ننسى أن ثلاث قوى إقليمية كانت مشتركة في الحرب وللاسف أصدروا قانون عفو كمن يكنس الغبار ويخبئه تحت السجادة واليوم نحن مصرون على فتح هذه الملفات كلها».

ضحى شمس